باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

الجزء الثاني عشر

لا تزال دار الكتب السلطانية مواصلة اصدار الاجزاء الباقية من صبح الاعشى فتحفتنا الآن بالجزء الثاني عشر على ورق عالٍ ومعتنى كلّ الاعتناء بطبعه فلا مزيد في ذلك لمستزيد . وهذا الجزء كالاجزاء السابقة من حيث تعدد اقسامه وانواعه وضروبه وهو يبحث فيما كان يكتب من الولايات عن الابواب السلطانية بالممالك الشامية والديار المصرية والمملكة الحجازية الى آخر ما هنالك

فمما كان يكتب لزعماء اهل الذمة قولهُ لرئيس اليهود « الرئيس الأوحد الاجل الاعز الاخص الكبير شرف الداوودين فلان »

ولبطرك النصارى « البطرك المحتشم المبجل فلان العالم بامور دينه المعلم اهل ملته ذخر الملة المسيحية كبير الطائفة العيسوية المشكور بعقله عند الملوك والسلاطين وفقهُ الله تعالى »

او « مجلس القسيس الجليل الروحاني الخطير المتبتل ابن المطران الناصب الخاشع المبجل قدوة دين النصرانية في الملة العيسوية عماد بني المعمودية جمال الطائفة الفلانية صفوة الملوك والسلاطين فلان ادام الله بهجتهُ »

ومما كتب بهِ الى البطرك « ميخائيل » قولهُ :

فليباشر هذه البطركية مباشرةً محمودة العواقب مشكورة لما تحلت بهِ من جميل المناقب وليحكم بينهم بمقتضى مذهبهِ وليسر فيهم سيراً جميلاً ليحصل لهم غاية قصدهِ ومأربهِ ولينظر في احوالهم بالرحمة وليعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهمة وليسلك الطرق الواضحة الجلية وليتخلق بالاخلاق المرضية وليفصل بينهم بحكم مذهبهِ في مواريثهم وانكحتهم وليعتمد الزهد في اموالهم وامتعتهم حتى يكون كلّ كبير منهم وصغير ممتثلاً لامرهِ واقفاً عند ما يقدم بهِ اليهِ في سرّهِ

وجهوه منتصبين لاقامة حرمته وتنفيذ امره وكلمته وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان وليرفق بذوي الحاجات والضعفاء من النساء والصبيان والاساقفة والمطارنة والقسيسين زيدة للاحسان احساناً جارياً في المساء والصباح والغدو والرواح »

وقد دعي البطرك في بعض الرسائل بطريركا . فقد جاء في توقيع لبطرك النصارى بالشام « كتب به للبطريرك داود الخوري » قوله « لا زال يعز بالالتجاء الى حرمه من يأوي اليه . . . . بطريرك الملكية بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة » الخ

ومن الطف هذه التواقيع ما جاء بين تواقيع ارباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق منها « توقيع بنظر مطابخ السكر من انشاء ابن نباتة كتب به للقاضي شرف الدين ابن عمرون وهو

« لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة واقلام الكفاة مصرفة والناظ الشكر ثابتة عند ذوي الاستحقاق ومصنفه والنعماء المنصفة لامثالهم حلوة المذاقين من نوع وزمن صفه — ان يستقر . . . . لما عرف من شيمه المستجاده وهممه المستزادة وكفاءته اللائق بها حسن النظر الثابت بفضلها رقم الشهادة واصالته التي نهض اولها بعهمات الدول فلو رآه معاوية — رضي الله عنه — لقال : يا عمرون انت عمرو وزياده ولما ألف من مباشرته المنيفة خبراً وخبراً وانظاره السامية الى معالي الامور نظراً ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر منها ذوو الهمم العلية وجهاته التي عرف بها سلفه وخلفه فلا غرو ان لبس عمامة مفاخره بيضاء وسكرية

« فليباشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومذاقاً الحالية عقداً ونطاقاً المحسوبة على مطالع الشرف وفقاً وآفاقاً جاعلا شكر النعمة من اوفى واوفر مزاياه وصلف الهمة من اولى واول وصاياه حافظاً للمطابخ وان كان عادة آبائه بذلها مدخراً للجفان وان كانت سمة قراهم ازالتها ونقلها حريصاً على ان لا يجعل لايدي الاقلام الخائنة مطمحاً وعلى ان ينشد كل يوم للتدبير لا للتبذير : « لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى » محرراً لحساب درهمها ومحمولها ومصروفها ومحصولها محترزاً

على مباشرته من الخلل في هذين المكانين حذراً من كفتها وقبائها فانها تتكلم في الحد او في الدم بلسانين بل تعلن — ان شاء الله — بمحمده المتبرر وتكرر الاحاديث الخلوة عنهُ فمن عندها خرج حديث الخلو المكرر والله تعالى يمد مساعيهُ بالنجح الوفي ويلهم همتهُ ان تنشد : « ما ابعد العيب والنقصان من شرفي » !

ديوان ابن الدمينة

اهدي الينا ديوان عبد الله بن الدمينة الخثعمي شرحهُ وضبطهُ حضرة محمد افندي الهاشمي البغدادي مصححاً على النسخة الشنقيطية في دار الكتب السلطانية. وهو من شعراء العصر الاموي ومن جميل شعرهِ قولهُ

وقد زعموا ان المحب اذا دنا يملُّ وان النأي يشفي من الوجد
بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد
ولكن قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواهُ ليس بذي ودِّ

وقد قال صاحب الاغاني ان البيت الثالث مزيد اي انهُ ليس من شعر ابن الدمينة

وقد اختص بالنسيب والغزل من فنون الشعر . من ذلك قولهُ في قصيدة طويلة يذكر فيها اميمة زوجهُ ويشبب بها

بنفسي واهلي من اذا عرضوا لهُ ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البريء ولم يزل بهِ سكتة حتى يقال مريب

وقولهُ من قصيدة اخرى غاضباً راضياً :

لئن ساءني ان نلتني بمساءة فقد سرَّني اني خطرت ببالكِ

ومن شعر اميمة تعاتبهُ في التجني عليها بعد وعدها بالوصل قبل زواجهِ بها :

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني واشمتَّ بي من كان فيك يلومُ
وابرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً ارمى وانت سليمُ
فلو ان قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلومُ

فاجابها بابيات منها :

وانتِ التي قطعت قلبي حزازة ومزقت قرح القلب فهو كليم
وانت التي كلفتني دلج السرى وجون الفلا بالجلهتين جثوم
وانت التي احفظت قومي فكلهم بعيد الرضى داني الصدود كظيم

ومن شعره السائر الذي تستشهد به كتب النحو والبيان قولهُ

فان الكثيب الفرد في جانب الحمى الي وان لم آته لحبيب

وقولهُ

الا يا حمامات اللوى عدن عودة فاني الى اصواتكن حزين

وقول اميمة وقد تقدم : « وانت الذي اخلفتني ما وعدتني » . وقد استشهدت به بعض كتب النحو كأنهُ قول رجل اذ ورد فيها « وانت التي » الخ

ومن خوارق شعره وآيات بلاغته قولهُ

باهلي ومالي من جلبت لهُ اذى ومن حملت ضغناً عليَّ اقاربهُ
ومن لو جرى الشحناء بيني وبينهُ وحاربني لم ادر كيف احاربهُ
واني ليثنيني الحياء واثني على مثل حد السيف وجداً اغالبهُ

على ان من شعره ما ينسب الى غيره . من ذلك قولهُ في ابيات « عجزاء مدبرة هيفاء مقبلة » وهذا الشطر منسوب الى كعب بن زهير من قصيدتهِ المشهورة التي يمدح بها النبي . وقولهُ « الا فاحلاني بارك الله فيكما » يشبههُ قول ابن توبة عند احتضارهِ « ولا تحمداني بارك الله فيكما » الخ

وفي هذا القدر دلالة على مكانة ابن الدمينة من الادب

تاريخ الامة القبطية

وقفنا على كراس عنوانهُ « منتخبات تهذيبية من تاريخ الامة القبطية » وضعتها لجنة التاريخ القبطي لتلاميذ وتلميذات السنتين الاولى والثانية من المدارس الابتدائية . وفيها نبذ في سيرة المسيحيين الاولين . والعدل اساس الملك . والاحسان الخفي . والغيرة القومية . والشجاعة الادبية . ومساواة الرجل بالمرأة . والمسئولية . وشهامة سيدة قبطية ونحو ذلك من المواضيع الادبية المفيدة مما يناهز الخمسين عدداً